

القيم الأسرية الحديثة وانعكاساتها على صحة الأم والطفل بالجزائر

Modern family values and their impact on maternal and child health in Algeria

جامعة 8 ماي 1945-قلمة - مخبر التحديات الديموغرافية بالجزائر / الجزائر	علم الاجتماع	أصالة بوعلي. طالبة دكتوراه bouali.assala@univ-guelma.dz
جامعة 8 ماي 1945-قلمة - مخبر الفلسفة والدراسات الإنسانية والاجتماعية ومشكلات الاعلام والاتصال / الجزائر	علم الاجتماع	خالد بوشارب بولوداني. أستاذ تعليم عالي Bouchareb.khaled@univ-guelma.dz
DOI :		

الإرسال: 2025/03/27 القبول: 2025/05/12 النشر: 2025/06/19

ملخص:

تتناول هذه الدراسة التحولات العميقة في القيم الأسرية الحديثة بالجزائر، وانعكاساتها على صحة الأم والطفل من خلال مقارنة سوسيولوجية تستكشف التغيرات البنيوية في الأسرة الجزائرية. فهدف إلى تحليل كيفية تأثير التغيرات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية على الأدوار الأسرية، ومدى انعكاسها على أنماط الرعاية الصحية والدعم الاجتماعي للأمهات والأطفال، مع التركيز على العوامل المؤدية إلى إعادة تشكيل العلاقات الأسرية وأنماط التنشئة.

وقد كشفت نتائج الدراسة أن التحولات في القيم الأسرية أفرزت تأثيرات متباينة، حيث ساهمت في تعزيز الوعي الصحي وتحسين فرص حصول الأمهات على الرعاية الطبية، لكنها في المقابل أدت إلى تصاعد الضغوط النفسية والاجتماعية بفعل تراجع أنماط التكافل الأسري التقليدي. وهو ما أكد بدوره على أهمية تطوير سياسات اجتماعية متكاملة تعزز التكيف الإيجابي مع هذه التحولات، وتسهم في تحقيق توازن بين متطلبات الحداثة والحفاظ على مقومات الاستقرار الأسري، بما يضمن بيئة داعمة لصحة الأم والطفل في سياق التغيرات الراهنة.

الكلمات المفتاحية: قيم أسرية؛ صحة؛ الأم؛ الطفل؛ حادثة.

Abstract:

This study examines the profound transformations in modern family values in Algeria and their impact on maternal and child health. It uses a sociological approach that explores structural changes within the Algerian family. It aims to analyze how cultural, economic, and social changes impact family roles and the extent to which they impact patterns of healthcare and social support for mothers and children, focusing on the factors leading to the reshaping of family relationships and parenting patterns.

The study's findings revealed that transformations in family values have had mixed effects. While they have contributed to enhancing health awareness and improving mothers' access to medical care, they have also led to increased psychological and social pressures due to the decline in traditional family solidarity patterns. This, in turn, underscores the importance of developing integrated social policies that promote positive adaptation to these transformations and contribute to achieving a balance between the demands of modernity and preserving the foundations of family stability, ensuring a supportive environment for maternal and child health in the context of current changes.

Keywords: Family values; health; mother; child; modernity..

مقدمة:

تمثل القيم الأسرية منظومة مرجعية عميقة تتشكل عبر سيورة تاريخية معقدة، إذ تؤثر التفاعلات داخل الأسرة وتحدد الأدوار والعلاقات بين أفرادها. ومع تسارع التحولات السوسيواقتصادية والتكنولوجية، باتت هذه القيم تشهد ديناميكية متجددة، تتجلى في إعادة تشكيل مفهوم الأسرة، أنماط التنشئة، وأساليب الرعاية الصحية والاجتماعية. فقد أدى تمدد النزعة الفردانية وتراجع أنماط التضامن الأسري التقليدي إلى بروز مقاربات جديدة لمفاهيم الأبوة والأمومة، انعكست بشكل مباشر على الصحة الجسدية والنفسية للأم والطفل.

إن التحولات التي مست القيم الأسرية في الجزائر ليست مجرد استجابة لاحتياجات اقتصادية أو تأثيرات العولمة، بل هي نتاج لإعادة هيكلة العلاقات الاجتماعية بفعل مستجدات متعددة، منها التحولات في سوق العمل، تغير أنماط الزواج، صعود أدوار جديدة للمرأة، وثورة المعرفة الرقمية. فهذه العوامل لم تغير فقط في توزيع الأدوار داخل الأسرة، بل فرضت تحديات جديدة تتعلق بالصحة الإنجابية، الضغوط النفسية، وجودة الحياة الأسرية ككل. كما أن تعقيد متطلبات التوفيق بين الأدوار الأسرية والمهنية للمرأة، في ظل تراجع شبكات الدعم التقليدية، أدى إلى إعادة النظر في ممارسات الرعاية الصحية والتربوية للأطفال، مما طرح تساؤلات حول مدى ملاءمة هذه القيم المستحدثة ومتطلبات الصحة الأسرية.

بناءً على ذلك، تسعى الدراسة الراهنة إلى تحليل طبيعة التحولات التي طرأت على القيم الأسرية في الجزائر، واستكشاف انعكاساتها على صحة الأم والطفل من خلال مقارنة

سوسيولوجية توضح عمق التحديات الصحية والنفسية التي تواجههما، مع محاولة الإجابة على التساؤل التالي:

هل يمكن اعتبار هذه التحولات ضرورة اجتماعية تفرضها الديناميكية التنموية؟ أم أنها تتطلب إعادة مواءمة لضمان الاستقرار والتوازن الأسري.

أولاً: القيم الأسرية

1. مفهوم القيم الأسرية

1.1 مفهوم القيم

تُعَدّ القيم أحد المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع، حيث تُشكل الموجهات التي تضبط سلوك الأفراد داخل المجتمع. وقد قدم عالم الاجتماع "إميل دوركايم" تعريفاً بارزاً للقيم، إذ اعتبرها نتاجاً للعقل الجماعي، أين ترتبط بالمثل العليا والأفكار المجردة التي تعكس الغايات العليا للمجتمع. ورأى دوركايم أن المجتمع هو الحارس الأساسي لهذه القيم، فهو الذي يحدد المعايير الأخلاقية ويوجه الأفراد نحو الامتثال لها. ومن هذا المنطلق، لم يقتصر اهتمامه على دراسة القيم ككيان مستقل بل تناولها من خلال ارتباطها بالبنية المعيارية للحياة الاجتماعية. كما أكد أن لكل مجتمع نظاماً أخلاقياً خاصاً به يتجسد كحقيقة اجتماعية تؤثر في مختلف مؤسساته، خاصة في تقسيم العمل أين تعد الأخلاق إحدى الركائز التي يستند إليها المجتمع في ضبط العلاقات بين أفرادها (حداد وعبد الناصر، 2021، ص.711). وعليه، لا تنبع القيم الأخلاقية من الفرد بذاته، بل يُعد المجتمع مصدرها الأساسي، إذ تتشكل كنتيجة للعوامل الاجتماعية والثقافية السائدة ويتحدد مضمونها وفقاً لما يُعتبر مرغوباً فيه اجتماعياً. ومن هنا، تختلف النظم الأخلاقية من مجتمع إلى آخر، بحسب احتياجات كل مجتمع ومتطلباته.

2.1 مفهوم الأسرة

تمثل الأسرة نواة المجتمع وأحد أهم مؤسساته الاجتماعية، كونها تؤدي دوراً جوهرياً في التنشئة الاجتماعية، وحفظ التراث الثقافي، ونقل القيم بين الأجيال. ويُعرف "أنطوني غيدنز" الأسرة بأنها مجموعة الأفراد الذين يرتبطون ببعضهم بصلة قرابة مباشرة،

ويتحمل أعضاؤها البالغون مسؤولية تربية الأطفال. وهو هنا يُميز بين مفهوم "العائلة" و"الأسرة"، فيشير إلى أن الأسرة قد تكون نوية، عندما تقتصر على الزوجين وأبنائهما سواء بالولادة أو بالتبني، وممتدة عندما تضم أقارب آخرين يقيمون مع الزوجين والأطفال تحت سقف واحد أو تجمعهم علاقات مستمرة (تريكي، 2017، ص.79).

وفي السياق الجزائري، تتميز الأسرة بكونها غالباً ما تجمع بين النمطين النووي والممتد، أين نجد أن بعض العائلات لا تزال تحافظ على شكل الأسرة الممتدة التي تضم الأجداد والأعمام والأبناء في مسكن واحد، لا سيما في المناطق الريفية. وفي نفس السياق أشار الباحث "بوتفنوشت" إلى أن الجزائريين في كثير من الأحيان لا يميزون بين مفهومي "الأسرة" و"العائلة"، فعندما يُطلب من شخص تعريف عائلته، فقد يشير إلى أسرته النووية المكونة من الزوج والزوجة والأبناء، أو إلى الأسرة الممتدة التي تضم الأقارب في "الدار الكبيرة" عند الحضر أو "الخيمة الكبرى" عند البدو (بوالشرش، 2019، ص.12). ويُلاحظ أن هذا النمط الأسري يضطلع بوظائف متعددة، ليس فقط في مجال التنشئة والضبط الاجتماعي، وإنما أيضاً على المستوى الاقتصادي والاستهلاكي والديني لِيُسهم بدوره في تحديد الهوية الاجتماعية للأفراد وإكسابهم الشرعية داخل المجتمع.

3.1 تعريف القيم الأسرية

تشكل القيم الأسرية أحد الأبعاد الأساسية للقيم الاجتماعية، فتعكس مجموعة المبادئ والمعايير التي تنظم العلاقات بين أفراد الأسرة، وتوجه أدوارهم وسلوكياتهم في مختلف المواقف الحياتية. وتتمثل أبرز القيم الأسرية في المجتمع في الطاعة للوالدين، التنشئة الاجتماعية، اختيار شريك الحياة، معاملة الأبناء الإنجاب، المشاركة في اتخاذ القرار، والاستقلال عن المسكن العائلي بعد الزواج. إلا أنه قد شهدت بعض هذه القيم تغيرات ملحوظة في ظل التطورات الاجتماعية والاقتصادية، فتراجع نموذج "سيادة الأب" إلى حد ما مقارنة بالماضي، خاصة مع تعليم المرأة ودخولها سوق العمل ومشاركتها في اتخاذ القرارات الأسرية إلى جانب الرجل (حداد وعبد الناصر، 2021، ص.713).

ويرى الباحث محمد "ظاهر بوشلوش" أن القيم الأسرية تندمج بالتنوع والتداخل مع القيم الاجتماعية الأوسع، مما يجعل من الصعب حصرها بدقة، إذ أن كل قيمة أسرية هي

في جوهرها قيمة اجتماعية تنبع من ثقافة المجتمع وتُعاد إنتاجها داخل الأسرة. فالأسرة ليست مجرد كيان معزول، بل هي الوحدة الاجتماعية الأساسية التي تحفظ التراث الاجتماعي وتنقل الأخلاق والقيم والعادات والتقاليد والمعتقدات عبر الأجيال (شوية ومдах، 2019، ص.111). وبهذا المعنى، تشمل القيم الأسرية جوانب متعددة، مثل العمل الصالح، النوايا الطيبة، الرعاية، الحب، والأفكار البناءة، مما يعكس الترابط العميق بين الأسرة والمجتمع، فتشكل بذلك الأسرة البيئة الأولى التي تُرسخ القيم وتوجه الأفراد نحو التكيف مع متطلبات الحياة الاجتماعية.

2. العوامل المؤثرة في تغير القيم الأسرية

لقد أدى التحول العميق في المنظومة القيمية للأسرة، بفعل الحداثة والعولمة وتغير البنى الاقتصادية والاجتماعية، إلى إعادة تشكيل أسس التماسك الأسري، والتي صارت واضحة تماماً من خلال الروابط الداخلية للأسرة وأدوار أفرادها. فضعف الروابط الأسرية والانتماء الأسري ليس مجرد ظاهرة سطحية بل هو نتاج لتحولات بنيوية مرتبطة بتراجع النموذج الأسري القائم على التماسك الجماعي وانتقاله إلى نموذج أكثر فردانية، خاصة وأن الانتماء الأسري بات مشروطاً بمدى تحقيق الأفراد لذواتهم داخل الأسرة وليس بكونها وحدة قائمة على التضامن التلقائي (حداد وعبد الناصر، 2021، ص.715). هذا الأخير الذي عرف تراجعاً ملحوظاً بفعل تزايد أدوار المؤسسات الخارجية مثل سوق العمل، المؤسسات التعليمية والوسائط الرقمية التي باتت تنافس الأسرة في تشكيل الوعي الاجتماعي والقيمي للأفراد، وبالتالي تآكل السلطة الرمزية للأسرة كمصدر أولي للهوية والانتماء.

أما فيما يتعلق بتغير النظرة إلى المرأة وقيمتها في الأسرة، فقد كان لهذا التحول تأثير مزدوج؛ فمن جهة ساهم في تعزيز استقلاليتها وتمكينها الاجتماعي والاقتصادي، ومن جهة أخرى، أدى إلى إعادة صياغة التوازن القيمي داخل الأسرة، ما خلق حالة من التفاوض المستمر حول الأدوار الأسرية خصوصاً في المجتمعات التي لم تُنتج نموذجاً قيمياً متوازناً بين تمكين المرأة واستقرار الأسرة. ففي ظل إعادة تعريف الأدوار الجندرية، لم يعد توزيع المسؤوليات الأسرية قائماً على ثنائية الرجل المعيل والمرأة الراعية، بل أصبح مشتركاً ومتغيراً تبعاً للسياقات الاقتصادية والاجتماعية، وهو ما أدى إلى ظهور أشكال جديدة من

التفاعلات الأسرية، بعضها قائم على الشراكة، فيما يعاني بعضها الآخر من تصدّع بسبب تعارض التصورات التقليدية والحديثة داخل الأسرة الواحدة.

أما تراجع القيم المحافظة للأسرة، فالملاحظ أنه مرتبط بإعادة هندسة القيم الأخلاقية التي لطالما شكلت الحاضن الأساسي لاستقرار الأسرة. فمع تصاعد النزعة الفردانية وانتشار قيم السوق التي تعلي من شأن الاستقلالية الذاتية والرفاه المادي، تراجع دور القيم التقليدية التي كانت تقوم على التضامن والمسؤولية المشتركة، والالتزام الأخلاقي داخل الأسرة. ولم يعد الاستقرار الأسري يُنظر إليه كغاية اجتماعية بحد ذاتها، بل صار متعلقاً بمدى تحقيق الفرد لطموحاته الشخصية، وهو ما نجم عنه بطبيعة الحال ارتفاع في معدلات التفكك الأسري وتغير أنماط الارتباط العاطفي، أين باتت العلاقات الأسرية أكثر هشاشة وأقل التزاماً على المدى الطويل. هذا بغض النظر عن التحولات الرقمية والتكنولوجية الحديثة التي لم تتوارى في تعميق هذه الأزمة، مضعفة التفاعل الاجتماعي المباشر داخل الأسرة، ومن ثم خلق نوع من التفكك السيكلوجي بين أفرادها، حتى وإن ظلوا يعيشون في فضاء مادي مشترك (طليشوش ومزعاش، 2022، ص.51).

إن هذه التحولات ليست مجرد تغييرات عابرة، بل تحول جذري في البنية الاجتماعية للأسرة، على النحو الذي جعل منها كياناً متغيراً يخضع لمعادلات جديدة ترتبط بأنماط الحياة الحديثة. وهو ما يستدعي، في السياق السوسيولوجي، مراجعة معمّقة لنماذج الأسرة المعاصرة، لفهم كيفية إعادة تشكيل القيم الأسرية في ظل هذه التحولات، ومدى تأثيرها على الاستقرار الاجتماعي بشكل عام.

3. السمات البارزة للقيم الأسرية الحديثة.

شهدت القيم الأسرية تحولات جوهرية في المجتمعات الحديثة، حيث أعادت تشكيل البنية الأسرية والعلاقات داخلها، بما يتماشى مع التحولات الاقتصادية والثقافية والتكنولوجية. وبهذا بات من الضروري تحليل هذه التغيرات من منظور سوسيولوجي يبرز السمات الأكثر تأثيراً في إعادة هيكلة الأسرة الحديثة ودورها في تشكيل الصحة النفسية والاجتماعية للأم والطفل.

1.3. التحول نحو الفردانية وإعادة تعريف الروابط الأسرية:

أدى تعاظم النزعة الفردانية إلى إعادة تشكيل العلاقات الأسرية، حيث أصبح التركيز على تحقيق الذات والاستقلالية الشخصية من الأولويات في القرارات الأسرية. وبالتالي لم يعد الأفراد ينخرطون في الأسرة الممتدة بنفس العمق الذي كان سابقاً لتصبح بذلك الأسرة النووية هي النمط السائد، ما أفرز أنماطاً جديدة من التفاعل الأسري، والتي تقوم على التفاوض والتكيف بدلاً من الامتثال الصارم للتقاليد.

2.3. إعادة تشكيل الأدوار الأسرية في ظل التحولات الاجتماعية:

شهدت الأدوار الأسرية تحولات ملحوظة بفعل التغيرات في سوق العمل وصعود حركات المطالبة بالمساواة الجندرية. وهنا لم يعد التقسيم التقليدي للعمل بين الجنسين قائماً على التراتبية الصارمة كما عرف سابقاً، بل اليوم تعد المرأة فاعلاً أساسياً في الاقتصاد العائلي، وعلى النحو الذي سمح بإعادة تعريف المسؤوليات داخل الأسرة (تريكي، 2017، ص.81). هذا التحول نفسه أفرز أنماطاً أسرية مرنة تسعى إلى التوفيق بين العمل ورعاية الأطفال، ما أثر بدوره على جودة الحياة الأسرية وأعاد تشكيل مفهوم المسؤولية الوالدية.

3.3. تراجع السلطة الأبوية وصعود نموذج التربية الحوارية:

باتت العلاقات الأسرية الحديثة أكثر ارتكازاً على مبادئ التربية الديمقراطية التي تقوم على الحوار والتفاوض بدلاً من السلطة الأبوية التقليدية. هذا التحول عكس تغييراً واضحاً في البنية السلطوية داخل الأسرة، أين صار الأطفال شركاء في اتخاذ بعض القرارات، وبالتالي تنمية استقلاليتهم الفكرية وقدراتهم النقدية (بوالشرش، 2019، ص.16). ومع ذلك، فإن هذا التغيير قد خلق فجوات بين الأجيال، على النحو الذي جعل من الآباء يستصعبون مسألة فرض القواعد القيمية التقليدية، وبالتالي زيادة تحديات التكيف بين الأجيال المختلفة داخل الأسرة.

4.3. تأثير التكنولوجيا والرقمنة على العلاقات الأسرية:

ساهمت الثورة الرقمية في إعادة تشكيل أنماط التفاعل داخل الأسرة، فأصبحت التكنولوجيا وسيطاً مهماً للتواصل بين أفرادها وهو ما أثر على طبيعة الروابط الاجتماعية التقليدية. فقد أتاح انتشار وسائل التواصل الاجتماعي أشكالاً جديدة من العلاقات الأسرية، حيث أتاحت للآباء إمكانية متابعة حياة أبنائهم رقمياً، ليصبح

بالمقابل التفاعل المباشر أقل حضوراً. هذه التغيرات أدت إلى بروز تحديات جديدة تتعلق بإعادة بناء مفهوم الاستقرار الأسري وإيجاد توازن بين العالم الرقمي والتواصل الواقعي داخل الأسرة (الزهراني، 2014، ص.215).

5.3. تحول معايير الزواج والعلاقات الأسرية في ظل المتغيرات الثقافية:

أثّرت التحولات الاقتصادية والثقافية على معايير الزواج وتكوين الأسرة، أين صار يُنظر إلى الزواج كشراكة تقوم على التوافق العاطفي والفكري، بدلاً من كونه مجرد التزام اجتماعي (طبشوش ومزعاش، 2022، ص.55). هذا وساهم ارتفاع مستويات التعليم والاستقلال الاقتصادي، خاصة لدى النساء، في تأخير سن الزواج وتغيير معايير اختيار الشريك، ما نجم عنه نماذج أسرية جديدة تعتمد على الشراكة أكثر من الخضوع للمعايير التقليدية. ثانياً: صحة الأم والطفل

1. مفهوم صحة الأم والطفل

تُعَدّ صحة الأم والطفل مؤشراً جوهرياً يعكس مستوى التنمية البشرية واستقرار النظم الصحية والاجتماعية في المجتمعات، إذ تتجاوز كونها مسألة طبية بحتة لتصبح قضية تنموية تتداخل فيها العوامل الصحية، الاجتماعية، والاقتصادية. فمن منظور منظمة الصحة العالمية تعني صحة الأم والطفل تحقيق الرفاه البدني، العقلي، والاجتماعي للأم والطفل، وليس مجرد غياب المرض، مما يستدعي توفير رعاية صحية شاملة أثناء الحمل، الولادة، وما بعد الولادة إضافة إلى تأمين بيئة داعمة تضمن التغذية السليمة والوقاية من الأمراض (عنصروداودي، 2019، ص.40).

وفي السياق ذاته، يؤكد صندوق الأمم المتحدة للسكان على أن صحة الأم والطفل تتجسد في قدرة المرأة على الحصول على الرعاية الصحية اللازمة خلال جميع مراحل الأمومة، بما يقلل من معدلات الوفيات والأمراض، مع التركيز على صحة الإنجاب كحق أساسي من حقوق المرأة. ويتبنى البنك الدولي منظوراً تنموياً للصحة فيعتبر صحة الأم والطفل مؤشراً على كفاءة النظم الصحية في تقديم الرعاية الأولية، وضمان التغذية والوقاية من الأمراض، مع الإشارة إلى ضرورة تقليص الفجوات الصحية الناتجة عن الفوارق الاجتماعية والاقتصادية (عوض، 2015، ص.112).

أما منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسف)، فتتناول صحة الأم والطفل من زاوية تكاملية تشمل التدخلات الصحية، التغذوية، والاجتماعية التي تضمن حياة سليمة للأطفال منذ فترة الحمل، مروراً بالرضاعة الطبيعية، والتحصين ضد الأمراض، وتهيئة بيئة داعمة للنمو السليم (عنصروداودي، 2019، ص.41).

موائمة مع هذه التعريفات يتضح أن صحة الأم والطفل: حالة متكاملة تنشأ من التفاعل المعقد بين العوامل البيولوجية والظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، حيث تُعتبر الرعاية الصحية المتخصصة خلال مراحل الحمل والولادة، جنباً إلى جنب مع برامج الدعم النفسي والاجتماعي حجر الزاوية في بناء بيئة تحفز النمو الطبيعي والتطور السليم للطفل وتضمن للمرأة القدرة على ممارسة أدوارها الاجتماعية بكفاءة. ويستلزم هذا المفهوم اعتماد منهجيات تحليلية تأخذ بعين الاعتبار الفوارق الطبقية والثقافية، مما يتيح صياغة سياسات ورقابة دقيقة تعمل على توزيع الموارد الصحية بشكل عادل وتفعيل آليات التعاون بين مختلف الجهات لتوفير إطار متماسك يُعزز قدرة الأفراد على مواجهة التحديات الصحية اليومية.

2. الأبعاد والعوامل المؤثرة في صحة الأم والطفل

تعكس صحة الأم والطفل تفاعلاً معقداً بين مجموعة من العوامل الصحية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والبيئية والسياسية، حيث يشكل كل بعد من هذه الأبعاد إطاراً مترابطاً يؤثر في مستويات الصحة ويحدد جودة الرعاية المقدمة. ويعدّ هذا التداخل بين الأبعاد المختلفة أساساً لفهم طبيعة التحديات التي تواجه الأمهات والأطفال، مما يستدعي مقاربة شاملة لضمان تحقيق التوازن بين العوامل المؤثرة.

1.2. الأبعاد الصحية:

تشكل الرعاية الطبية المقدمة للأم والطفل أحد المحددات الأساسية للصحة حيث يتأثر الوضع الصحي بمدى توفر خدمات المتابعة أثناء الحمل، وجودة الرعاية المقدمة أثناء الولادة، ومدى الاستفادة من التدخلات الوقائية مثل التطعيمات والتغذية المتوازنة. فغياب هذه الخدمات أو تدني مستواها قد يؤدي إلى ارتفاع معدلات وفيات الأمهات والرضع وانتشار الأمراض المرتبطة بالحمل والولادة، مما يجعل تعزيز الخدمات الصحية عاملاً حاسماً في تحسين صحة الأمهات والأطفال (غرداوي ودفلاوي، 2023، ص.81).

2.2 الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية:

تتداخل العوامل الاجتماعية والاقتصادية في تشكيل مستوى صحة الأم والطفل، حيث يرتبط دخل الأسرة مباشرة بمدى القدرة على تأمين الغذاء الصحي والسكن اللائق والحصول على الخدمات الصحية الأساسية. كما يؤثر المستوى التعليمي، ولا سيما تعليم المرأة، على الوعي الصحي وقدرتها على اتخاذ قرارات سليمة تتعلق بصحتها وصحة طفلها. أما فرص العمل، فتحدد مدى الاستقلالية الاقتصادية للأمهات، مما يبدي إمكانية الحصول على رعاية صحية مناسبة وظروف معيشية مستقرة.

3.2 الأبعاد الثقافية والدينية:

تلعب الموروثات الثقافية والمعتقدات الدينية دوراً في تشكيل السلوكيات الصحية للأمهات والأطفال، فقد تساهم بعض العادات في تعزيز الوعي الصحي وتحسين فرص الحصول على الرعاية، بينما قد تحد بعض الممارسات التقليدية من الوصول إلى الخدمات الطبية الحديثة، ما قد يؤدي إلى مشكلات صحية تؤثر على الأم والجنين (محمد، 2010، ص.64).

4.2 الأبعاد السياسية والقانونية:

تعكس السياسات الصحية والتشريعات القانونية مدى التزام الدولة بحماية صحة الأمهات والأطفال، فتساهم القوانين الداعمة للرعاية الصحية، مثل إجازات الأمومة والتأمين الصحي، برامج التوعية الصحية، في تقليل الفجوات ومن ثم الحصول على الخدمات وتعزيز العدالة الصحية (غرداوي ودفلوي، 2023، ص.81).

ثالثاً: انعكاسات القيم الأسرية الحديثة على صحة الأم والطفل في الجزائر

لقد شهدت الأسرة الجزائرية خلال العقود الأخيرة تحولات عميقة في بنيتها ووظائفها، بفعل الانفتاح على منظومات قيمية عصرية ارتبطت بعوامل التمدن والعولمة وتغير النسق الاقتصادي والاجتماعي، وهو ما أعاد تشكيل أدوار الأفراد داخل الأسرة، وأنماط علاقاتهم، بما في ذلك أساليب الرعاية والدعم الأسري، لا سيما فيما يتصل بصحة الأم والطفل.

1. التغيرات في الرعاية الصحية للأم والطفل

1.1 أثر التحولات القيمية على العادات الصحية والتغذية:

مع تزايد النزعة نحو الأسر النووية وتراجع الأدوار التقليدية للأسر الممتدة، بدأت أنماط الرعاية الصحية والغذائية تتجه نحو خيارات سريعة ومصنعة، مبتعدة عن الممارسات التقليدية التي كانت تعكس نوعاً من التكافل الغذائي الجماعي. فقد أصبحت العديد من الأمهات الجزائريات يلجأن إلى الأغذية المصنعة نظراً لضيق الوقت وضغط العمل، وهو ما أدى إلى تغيرات واضحة في نمط تغذية الأطفال وارتفاع معدلات سوء التغذية والسمنة، خصوصاً في الأوساط الحضرية. وقد أشار عوض (2015، ص.115) إلى أن التحولات في أنماط الحياة الأسرية أدت إلى اعتماد أكبر على المنتجات الغذائية الجاهزة، مما انعكس سلباً على الصحة العامة للأطفال.

2.1 تأثير القيم الحديثة على الرضاعة الطبيعية ورعاية الأطفال:

أدت التغيرات في بنية الأسرة وتزايد مشاركة المرأة في سوق العمل إلى تراجع كبير في معدلات الرضاعة الطبيعية، لصالح بدائل صناعية تؤثر على صحة الطفل ونموه. كما زاد الاعتماد على مؤسسات الحضانة ومقدمي الرعاية البديلة، ما أضعف الروابط العاطفية بين الأم وطفلها. ويعكس هذا التحول تراجع "ثقافة الرعاية الأمومية التقليدية" لصالح أنماط حضرية تفرضها متطلبات الحياة الجديدة. وقد أكدت ذلك دراسة عوض (2015، ص.115)، التي ربطت هذا التراجع بتغير أدوار النساء داخل الأسرة وارتفاع نسب الخروج للعمل، ما أثر على التكوين المناخي للأطفال وجودة الترابط النفسي في سنوات الطفولة الأولى.

3.1 دور الأب في رعاية الطفل وصحة الأم:

في سياق تصاعد قيم المساواة بين الجنسين، بدأت تظهر ملامح تحول في دور الأب داخل الأسرة حيث أصبح أكثر انخراطاً في الرعاية الصحية والنفسية للأم أثناء الحمل وما بعد الولادة. وقد ساعد هذا الانخراط على تخفيف بعض الأعباء الجسدية والنفسية على الأمهات. غير أن هذا التحول لا يزال يواجه تحديات ترتبط بالثقافة المحلية التي تركز الرعاية كمسؤولية أنثوية بالأساس. وهذا ما بينته بوضوح دراسة عوض (2015، ص.115) التي أشارت إلى أن التقاليد لا تزال تلقي بعبء الرعاية الكلي على النساء، رغم التغير الظاهري في الأدوار.

2. التغيير في الدعم الاجتماعي والعاطفي داخل الأسرة

1.2 انخفاض التماسك الأسري وأثره على صحة الأم النفسية والجسدية:

أسهم تراجع أنماط الأسرة الممتدة في تقليص شبكة الدعم الاجتماعي والعاطفي، ما جعل الكثير من الأمهات، خاصة في لحظات الحمل والولادة، يواجهن أوضاعاً من العزلة والضغط النفسي. وهذا التغيير أدى إلى ارتفاع نسب الاكتئاب ما بعد الولادة بسبب غياب الدعم العائلي التقليدي. وقد تناول محمد (2010، ص.73) هذا الجانب بدقة، مؤكداً أن تراجع التماسك الأسري له تأثير مباشر على الصحة النفسية للأمهات، خاصة في غياب بدائل مجتمعية فعالة توفر الرعاية.

2.2 تأثير الدعم الأسري الحديث على نمو الطفل وصحته النفسية:

أدت ضغوط الحياة الحديثة إلى تحوّل طبيعة الدعم الأسري من التشارك الجماعي إلى الشراكة المحدودة بين الزوجين، ما قلل من فرص الاستقرار العاطفي للأطفال. وبينت دراسات حديثة أن ضعف التماسك الأسري قد يؤدي إلى اضطرابات نفسية وسلوكية لدى الأطفال، نتيجة غياب الحضور العاطفي الكافي للأبوين. وقد أكد محمد (2010، ص.73) هذا الأمر مشيراً إلى أن التغيير في بنية العلاقات داخل الأسرة الحديثة يُنتج نماذج من التنشئة أقل استقراراً نفسياً للأطفال، ما ينعكس على تطورهم المعرفي والعاطفي.

3. التأثيرات الاقتصادية والاجتماعية

1.3 عمل المرأة بين التمكين الاقتصادي والصحة الإنجابية:

أدى خروج المرأة للعمل إلى تعزيز استقلاليتها المادية والاجتماعية، غير أن هذا المكسب ترافق مع أعباء إضافية تمس صحتها الإنجابية والنفسية، خاصة في غياب آليات مؤسسية تدعم الأمهات العاملات. فقد أشار عنصروداودي (2019، ص.45) إلى أن الكثير من النساء العاملات يعانين من إرهاق جسدي وضغط نفسي ناتج عن محاولتهن التوفيق بين العمل والأمومة، في غياب إجراءات مرنة داخل بيئة العمل.

2.3 تأثير الاستقلالية الاقتصادية للأسرة على صحة الأم والطفل:

رغم أن التحول نحو الأسر الصغيرة أتاح لبعض العائلات إمكانيات اقتصادية أفضل، خصوصاً فيما يتعلق بالولوج إلى خدمات صحية وتعليمية جيدة، إلا أن هذه الاستقلالية ترافقت مع ضغط مزدوج بين العمل والحياة الأسرية. وقد أوضح عوض (2015، ص.116) أن هذا الواقع يفرز نوعاً من "الإهمال غير المقصود" في الرعاية الصحية والنفسية للأطفال، نظراً لتقلص الوقت والجهد المخصص لهذه المهام في ظل غياب شبكات الدعم.

إن تفكيك بنية الأسرة الجزائرية الحديثة يكشف عن مفارقة جوهرية: فبينما وفرت القيم العصرية أشكالاً جديدة من الاستقلال والتمكين، فإنها بالمقابل أعادت توزيع الأدوار والمهام داخل الأسرة بشكل غير متوازن، ما انعكس سلباً على صحة الأم والطفل. وتدل المؤشرات السوسولوجية على أن التحولات القيمة لا يمكن تقييمها خارج سياقها الثقافي والاقتصادي، حيث لا تزال البنى الذهنية التقليدية تقاوم التجديد، وهو ما يستوجب بناء سياسات داعمة تتماشى مع هذه التحولات، وتعيد الاعتبار لأدوار الدعم المجتمعي والأسري في حماية الصحة الإنجابية والنفسية للأم والطفل.

رابعاً: استراتيجيات مقترحة لتعزيز صحة الأم والطفل في ظل القيم الأسرية الحديثة.

فيما يلي ست استراتيجيات حديثة ومبتكرة لتعزيز صحة الأم والطفل في ظل التحولات التي تشهدها القيم الأسرية الحديثة:

- ✓ الاستفادة من التطبيب عن بُعد والذكاء الاصطناعي في تقديم استشارات صحية للأمهات الحوامل وللأطفال، مما يضمن متابعة صحية دقيقة دون الحاجة إلى زيارات متكررة للمرافق الصحية.
- ✓ تطوير برامج شاملة تدمج الدعم النفسي للأم بعد الولادة والتوجيه الأسري لخفض معدلات الاكتئاب والقلق، مع توفير منصات دعم إلكترونية تُعنى بالصحة العاطفية للأسرة.

- ✓ تفعيل سياسات إجازة الأبوة الممتدة، وبرامج تثقيفية رقمية تستهدف مشاركة الأب في رعاية المواليد الجدد، بما يحقق التوازن الأسري ويخفف الأعباء الصحية والنفسية عن الأم.
- ✓ تطوير تطبيقات تعتمد على البيانات الضخمة والذكاء الاصطناعي لمتابعة التغذية المثلى للأم والطفل، مما يتيح خطط غذائية فردية قائمة على الاحتياجات الصحية لكل فرد من الأسرة.
- ✓ إنشاء منصات إلكترونية تربط الأمهات العاملات بخدمات رعاية الأطفال عن بُعد، وتوفير حلول ذكية مثل جداول مرنة وتطبيقات لإدارة الوقت الأسري والمهني بكفاءة.

خاتمة

في الختام يتضح أن التحولات التي مست القيم الأسرية في الجزائر قد أفرزت تحديات معقدة تتطلب مقاربات متجددة تضمن التوازن بين متطلبات الحداثة واستدامة الصحة الأسرية. فإعادة تشكيل الأدوار داخل الأسرة وتغيير أنماط الدعم الاجتماعي يفرضان مراجعة السياسات الصحية والاجتماعية، بما يستجيب لاحتياجات الأم والطفل في ظل المتغيرات الراهنة. كما أن استيعاب هذه التحولات ضمن مقاربة تكاملية تعزز التكيف الإيجابي مع المستجدات، دون المساس بالأسس الضرورية للاستقرار الأسري، يظل أمراً جوهرياً لضمان بيئة داعمة للصحة الجسدية والنفسية للأم والطفل في سياق التطورات السوسولوجية الراهنة.

قائمة المراجع

الزهراني، نورة مسفر. (2014). القيم الأسرية في ضوء متغيرات العصر وتأثيرها على اتجاهات الشباب الجامعي نحو قضاء وقت الفراغ. المجلة العلمية لكلية التربية النوعية بجامعة الباحة، العدد (01).

بوالشرش، نورالدين. (2019). انعكاسات شبكات التواصل الاجتماعي على منظومة القيم الأسرية. مجلة دراسات في علوم الإنسان والمجتمع، المجلد (02)، العدد (04).

تريكي، حسان. (2017). تغير القيم الأسرية في المجتمع الجزائري المعاصر: دراسة تحليلية. مجلة الرواق، العدد (09).

حدادو، فطيمة وعبد الناصر، عزوز. (2021). التغير القيمي في التنشئة الاجتماعية للأسرة الجزائرية. مجلة المعيار، المجلد (25)، العدد (58).

شوية، سيف الإسلام ومداخ، حمدان. (2019). القيم الأسرية بين التغير والثبات في المدن الجديدة: دراسة حالة لعينة من قاطني مدينة ذراع الريش بعنابة. مجلة التميز الفكري. العدد (03).

عنصر، مونية ودواوي، نوال. (2019). تأثير الرضاعة الطبيعية على الأم. مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد (11)، العدد (03).

عوض، أحمد. (2015). ثقافة الأم والسلامة النفسية للطفل: منذ الولادة وحتى ثلاث سنوات. القاهرة: وكالة الصحافة العربية.

غرداوي، أمينة ودفلاوي، يوسف. (2023). تأثير الثقافة الغذائية على صحة الأم والطفل: دراسة ميدانية بمستشفى الأم والطفل بولاية تيزي وزو. رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، تخصص علم اجتماع الصحة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.

طيشوش، نسيم ومزعاش، رياض. (2022). منصة نتفليكس وأثرها على القيم الأسرية. مجلة الرسالة للدراسات الإعلامية، المجلد (06)، العدد (04).

محمد، حسن ناصر. (2010). الأم والطفل. بيروت: دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع.